الدُّرُوسُ العَقَديَّة المُستنْبَطَة مِنْ قِصَّة الإِفْك

تأليف

أ.د. عبدالكريم بن عيسى الرحيلي

الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾،[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾،[٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾،[٣] أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،[٤] وبعد:

فإن من أولويات طالب العلم بعد قراءة القرآن ودراسته وفهمه دراسة سنة النبي ﷺ، وحفظها، واستخراج الدروس والعبر منها؛ حتى ينتفع بها في دنياه وآخرته.

وهذه الدراسة لأحاديث النبي ﷺ تنير للسالك طريق الهداية، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥] فـ"هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله"[٦]

لذا اهتم أهل العلم بأحاديث النبي ﷺ شرحاً ودراسةً، فهماً وكتابةً، فأصلوا من خلالها أبواب الاعتقاد، والحلال والحرام، وسائر أبواب الدين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢)

(٢) سورة النساء، الآية (١)

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠-٧١)

(٤) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة، رواها عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة، منهم: جابر بن عبدالله، وعبدالله بن مسعود، وغيرهما، وهي تشرع بين يدي كل خطبة: جمعة، أو عيد، أو محاضرة، أو نكاح، أو درس، أو مؤلف، روى جزءاً منها: مسلم في (كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة) (ص: ٣٤٤) ح (٨٦٧)، وابن ماجه في (باب اجتناب البدع والجدل) (٣١/١) ح (٤٦)، وأبو داود في (كتاب الصلاة - باب الرجل يخطب على قوس) (٣١٩/٢) ح (١٠٩٧)، والترمذي في (أبواب النكاح عن رسول الله - ﷺ - باب ما جاء في خطبة النكاح) (٤١٣/٣) ح (١١٠٥)، والنسائي في (كتاب الجمعة -باب فضل الإنصات وترك اللغو يوم الجمعة) (١٠٤/٣) ح (١٤٠٤)، وقد صححها الشيخ الألباني، وله رسالة مفردة في جمع طرقها، وتخريجها، والحكم عليها، بعنوان: "خطبة الحاجة".

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٦) تفسير ابن كثير (٣٩١/١).

ومن المحدثين الذين لهم قدم السبق، والهمة العالية، في جمع أحاديث النبي ﷺ، الإمام مسلم،[1] ومما جمعه في صحيحه وفَصّل فيه غزوات النبي ﷺ، وما حدث فيها، من بلاء وشدة على رسول الله ﷺ وأصحابه، ومن تلك الغزوات غزوة المريسيع[2]، والتي كان من أبرز أحداثها اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ظلماً وعدواناً من قِبل أهل النفاق والإفك والافتراء.

فوقع اختياري على دراسة قصة الإفك دراسة عقدية، أستخلص منها الدروس العقدية؛ لأن أهم شيء يدرسه طالب العلم من أحاديث النبي ﷺ ما تعلق بأمور العقيدة؛ لأنها الأساس الذي تبنى عليه الأعمال.

---

(١) الذي جعلني أختار صحيح الإمام مسلم دون غيره؛ لأنه جمع طرق الحديث، ثم سردها في موطن واحد، بخلاف غيره ممن خرج هذا الحديث ، فإنه قد يذكر الحديث في عدة مواطن من كتابه، قال ابن حجر – رحمه الله – في سبب جودة صحيح مسلم على غيره من ناحية الترتيب: (لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي، من غير تقطيع، ولا رواية بمعنى). تهذيب التهذيب (١١٤/١٠).

(٢) المريسيع : اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل. معجم البلدان ١١٨/٥، واليوم : جزء من وادي (حورة)، أحد روافد (ستارة)، وستارة وقديد واد واحد، وهو بعيد عن الساحل في الداخل، بما يقرب من ثمانين كيلاً عن سيف البحر . معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص: ٢٩٠) ، المعالم الأثيرة لحسن شراب (ص: ٢٥١) .

خطة البحث :

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأحد عشر مبحثاً، وخاتمة .

أما المقدمة: فذكرت فيها الافتتاحية، وأهمية الموضوع، وخطة البحث .

وأما التمهيد: فيشتمل على ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : تعريف الإفك لغة واصطلاحاً .
- المطلب الثاني: أسباب خوض المنافقين في الإفك.
- المطلب الثالث: نص حديث الإفك.

- المبحث الأول : بيان ما جاء في قصة الإفك من ابتلاء عباده المؤمنين.
- المبحث الثاني: ما جاء في قصة الإفك من إثبات الحلف بالله تعالى.
- المبحث الثالث: ما جاء في قصة الإفك من إثبات كلام الله عز وجل.
- المبحث الرابع: ما جاء في قصة الإفك من إثبات العلم لله عز وجل.
- المبحث الخامس: ما جاء في قصة الإفك من إثبات التسبيح لله عز وجل.
- المبحث السادس: بيان ما جاء في قصة الإفك من بشرية النبي ﷺ
- المبحث السابع: بيان ما جاء في في قصة الإفك من حكم الطعن في عرض النبي ﷺ
- المبحث الثامن: بيان ما جاء في قصة الإفك من محبة النبي ﷺ وتعظيمه.
- المبحث التاسع: بيان ما جاء في قصة الإفك من فضل الصحابة رضي الله عنهم.
- المبحث العاشر: ما جاء في قصة الإفك من فضل عائشة رضي الله عنها.
- المبحث الحادي عشر: ما جاء في قصة الإفك من حكم مرتكب الكبيرة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر القائمين على هذا المؤتمر الدولي الأول، بعنوان: **(السيرة النبوية في القديم والحديث)**، وهذا البحث ثمرة من ثماره، أسأل ربي أن ينفع به كاتبه وقارئه، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول : تعريف الإفك لغة واصطلاحاً .

الإفك لغة:

أصل مادة الإفك: (الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته، يقال إِفِكَ الشيءُ وأَفِكَ الرجلُ إذا كذب، والإفك الكذب).[١]

قال ابن منظور –رحمه الله– (الإِفْكُ: في الأصل الكذب،...والجمع الأَفَائكُ ورجل أَفَّاك وأَفِيك وأَفُوك كذاب).[٢]
تبين مما سبق إيراده من كلام أهل اللغة أن الإفك هو: الكذب والافتراء.

الإفك اصطلاحاً:

قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله – : (الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه).[٣]

ويمكن أن يعرف الإفك: الكلام الذي لا أساس له من الصحة.

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص: ٦٦).
(٢) لسان العرب (١٠/٣٩٠)، وانظر: الصحاح، للجوهري (ص: ٤٧) ، كتاب العين، للفراهيدي (ص: ٣١).
(٣) المفردات (ص: ٢٨)، المصباح المنير، للفيومي (ص: ٢٥)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٨١).

المطلب الثاني: أسباب خوض المنافقين في الإفك.

قال الله تعالى عن المنافقين وعن أحوالهم مع المؤمنين في السراء والضراء: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.[(١)]

فأخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن من صفات المنافقين تربصهم بالمؤمنين دوائر السوء، من زوال دولتهم، وظهور الكفار عليهم، وهذا من حقدهم، وحسدهم عليكم.

قال القرطبي – رحمه الله – (﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ يعني المنافقين، أي: ينتظرون بكم الدوائر...والآية تدل على أن المنافقين كانوا يخرجون في الغزوات مع المسلمين).[(٢)]

لذا لما خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة المريسيع ووجدوا مجالاً يظنون من خلاله ظن السوء – لمجرد التربص وإظهار الشماتة وتلمس العيوب لا لنصرتهم ومؤازرتهم ضد الكافرين– بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه أخذوا في إشاعة هذا الخبر الكاذب المفترى عليهما.

فمن خلال هذه الآية والحديث يتبين أن أسباب خوض المنافقين في الإفك كثيرة منها:

١) كُرْه الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[(٣)].

٢) أذية النبي ﷺ ، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٤)].

٣) الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوبهم على الإسلام وحملته، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾.[(٥)]

٤) التعاون الوثيق مع الكفار ضد المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾.[(٦)]

---

(١) سورة النساء، الآية (١٤١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/٤١٨.
(٣) سورة مُحَمَّد، الآية: (٩).
(٤) سورة التوبة، الآية: (٦١).
(٥) سورة البقرة، الآية: (١٠).
(٦) سورة البقرة، الآية: (١٤).

المطلب الثالث : نص حديث الإفك .

قال الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه: حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يونس بن يزيد الأيلي، ح: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ومُحَّد بن رافع، وعبد بن حميد، قال ابن رافع: حدثنا، وقال الآخران: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر – والسياق حديث معمر من رواية عبد وبن رافع – قال يونس ومعمر جميعاً: عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، ذكروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً؛ أقرع بين نسائه؛ فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها؛ فخرج فيها سهمي؛ فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي[(١)] وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة؛ آذن ليلة بالرحيل؛ فقمت حين آذنوا بالرحيل؛ فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل؛ فلمست صدري فإذا عقدي من جزع[(٢)] ظفار[(٣)] قد انقطع! فرجعت فالتمست عقدي؛ فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي؛ فحملوا هودجي؛ فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه! قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً؛ لم يهبلن[(٤)] ولم يغشهن[(٥)] اللحم؛ إنما يأكلن العلقة[(٦)] من الطعام! فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه؛ وكنت جارية حديثة السن؛ فبعثوا[(٧)] الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش؛ فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب! فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي! فبينا أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني فنمت! وكان صفوان بن المعطل – السلمي ثم الذكواني – قد عرس[(٨)] من وراء الجيش؛ فأدلج[(٩)] فأصبح عند منزلي؛ فرأى سواد إنسان نائم؛ فأتاني فعرفني حين رآني – وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي –؛ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني؛ فخمرت وجهي بجلبابي[(١٠)]، ووالله ما يكلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير

(١) ما تركب فيه المرأة على الجمل، وهو كالمحفة عليه قبة. فتح الباري، لابن حجر (٤٥٨/٨).
(٢) الخرز اليَماني، الواحدة جزعة. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٧٤٤/١).
(٣) قرية في اليمن. النهاية في غريب الحديث والأثر (٧٤٤/١).
(٤) لم يكثر عليهن اللحم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٠/٥).
(٥) لم يغط اللحم بعضه بعضاً. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٠/٥).
(٦) القليل. شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٤/١٧).
(٧) أثاروه. فتح الباري، لابن حجر (٤٦٠/٨).
(٨) التعريس النزول آخر الليل في السفر لنوم. شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٥/١٤).
(٩) سير آخر الليل. المصدر السابق.
(١٠) غطيته. المصدر السابق.

استرجاعه! حتى أناخ راحلته؛ فوطى ء على يدها؛ فركبتها؛ فانطلق يقود بي الراحلة؛ حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين[١] في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول.

فقدمنا المدينة؛ فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك! وهو يريبني في وجعي[٢] أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي! إنما يدخل رسول رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: ((**كيف تيكم؟**))[٣]، فذاك يريبني! ولا أشعر بالشر! حتى خرجت بعد ما نقهت،[٤] نقهت،[٤] وخرجت معي أم مسطح قِبَل المناصع – وهو متبرزنا – ، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف[٥] قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذها عند بيوتنا! فانطلقت أنا وأم مسطح – وهي: بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها: ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب –؛ فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا؛ فعثرت أم مسطح في مرطها؛[٦] فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟! قالت: أي هنتاه؛[٧] أو لم تسمعي ما قال؟! قلت: وماذا قال؟! قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك! فازددت مرضاً إلى مرضي! فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ﷺ فسلم، ثم قال: ((**كيف تيكم؟**)) قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قِبَلهما! فأذن لي رسول الله ﷺ ؛ فجئت أبوي؛ فقلت لأمي؛ يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية؛ هوني عليك؛ فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة[٨] عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها! قالت: قلت سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة؛ حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع[٩]، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي!

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد – حين استلبث الوحي – يستشيرهما في فراق أهله! قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير! وإن تسأل الجارية تصدقك.

---

(١) شدة الحر. المصدر السابق.
(٢) إذا أوهمه وشككه، واللطف: هو البر والرفق. المصدر السابق (١٠٦/١٤).
(٣) هي إشارة إلى المؤنثة كذلكم في المذكر. المصدر السابق.
(٤) هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه، وهو قريب عهد به، لم يتراجع إليه كمال صحته. المصدر السابق.
(٥) هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، وهي مواضع خارج المدينة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٤٥/٥).
(٦) كساء من صوف، وقد يكون من غيره. شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٧/١٤).
(٧) يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم. المصدر السابق.
(٨) حسنة جميلة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٢٨/٥).
(٩) لا ينقطع. شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٨/١٧).

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة؛ فقال: ((**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟**))؛ قالت له بريرة: - والذي بعثك بالحق - إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها[١] أكثر من أنها جارية حديثة السن؛ تنام عن عجين أهلها؛ فتأتي الداجن فتأكله[٢]!

قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر؛ فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول؛ قالت: فقال رسول الله ﷺ - وهو على المنبر -: ((**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي؟؛ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**))!

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه - يا رسول الله - إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك!

قالت: فقام سعد بن عبادة، - وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتهلته الحمية[٣]! - فقال لسعد بن معاذ: كذبت - لعمر الله - لا تقتله، ولا تقدر على قتله! فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة: كذبت - لعمر الله - لنقتلنه! فإنك منافق تجادل عن المنافقين! فثار الحيان الأوس والخزرج؛ حتى هموا أن يقتتلوا؛ ورسول الله ﷺ قائم على المنبر! فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم؛ حتى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيت يومي ذلك؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم! ثم بكيت ليلتي المقبلة؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم! وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي!

فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي؛ استأذنت علي امرأة من الأنصار؛ فأذنت لها فجلست تبكي! قالت فبينا نحن على ذلك؛ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم، ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء!

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: ((**أما بعد يا عائشة؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب؛ تاب الله عليه**)).

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي[٤]، حتى ما أحس منه قطرة! فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال! فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ! فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ! فقلت: - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن - إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا؛ حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به! فإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة -؛ لا تصدقوني بذلك! ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أني بريئة -؛ لتصدقونني! وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٥]!

---

(١) أعيبها به وأطعن به عليها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٧٢٥).
(٢) هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٠٢).
(٣) حملته الأنفة والغضب على الجهل. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٨٥٣).
(٤) ارتفع وذهب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١٠٠).
(٥) سورة يوسف، الآية (١٨).

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي! قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينـزل في شأني وحي يتلى! ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى! ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله؛ ما رام[١] رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد؛ حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ؛ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي[٢]؛ حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق[٣]، في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه!

قالت: فلما سُرّى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك! فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: ((**أبشري – يا عائشة –! أما الله فقد برأك**)).

فقالت لي أمي: قومي إليه! فقلت: – والله – لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله؛ هو الذي أنزل براءتي.

قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾[٤] عشر آيات؛ فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات براءتي.

قالت: فقال أبو بكر – وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره – والله؛ لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة! فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٥] – قال حبان بن موسى: قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله –؛ فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي! فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه؛ وقال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري؛ ما علمت أو ما رأيت؟! فقالت: يا رسول الله؛ أحمي سمعي وبصري! والله ما علمت إلا خيراً! قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني[٦] من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع! وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها؛ فهلكت فيمن هلك! قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

وقال في حديث يونس: احتملته الحمية.[٧]

---

(١) ما برح وما فارق مجلسه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٩٠).
(٢) شدة الحمى، وقيل: شدة الكرب، وقيل: شدة الحر. فتح الباري، لابن حجر (٨/٤٧٦).
(٣) هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٠١).
(٤) سورة النور، الآية (١١).
(٥) سورة النور، الآية (٢٢).
(٦) تعاليني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو، أي: تطاولني عنده ﷺ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٠٥).
(٧) رواه مسلم في (كتاب التوبة. باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) (٤/٢١٢٩) ح(٢٧٧٠).

المبحث الأول :

بيان ما جاء في قصة الإفك من ابتلاء عباده المؤمنين.

الشاهد من الحديث:

ورد البلاء بالنبي ﷺ وأهل بيته في حديث الإفك في عدة مواقف، منها:

الأول: إخبار النبي ﷺ بأنه قد تأذى من مقالة المنافقين بقوله: ((**من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي**)).

الثاني: اشتد المرض على عائشة رضي الله عنها لما سمعت مقالة المنافقين وانتشارها في المجتمع قالت: (فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي).

الثالث: تأثُّر أبي بكر رضي الله عنه وأم رومان رضي الله عنها بمقولة أهل الإفك، قالت عائشة رضي الله عنها: (فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال! فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ).

التعليق:

أولاً: من القرآن.

الابتلاء سنة من سنن الله تعالى يمحص به عباده الصالحين؛ ليرفع به درجتهم يوم يلقونه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾(١) فهذا جزاء الصابرين على الابتلاء.

قال القرطبي –رحمه الله-: (فأما البلاء النازل على الأولياء فهو خير، لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره هو الثواب الكثير في الأخرى).(٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.(٣)

قال السعدي – رحمه الله – : (﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبر إيمانكم وصبركم، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقاً، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصاً في

---

(١) سورة البقرة، الآيات (١٥٥– ١٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩٨).

(٣) سورة محمد، الآية (٣١).

إيمانه).(١)

ثانياً: من السنة.

جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ : ((**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**)).(٢)

فما من نبي إلا وقد ابتلي في نفسه أو ماله أو عرضه، ومن هؤلاء الأنبياء نبينا مُحَمَّد ﷺ فقد ابتلي في عرضه من قِبل المنافقين في غزوة المريسيع، وقد تأثر من هذه الفرية العظيمة؛ تبين ذلك من خلال موقفه مع زوجته؛ وذلك بعدم الجلوس معها، منذ قيل فيها ما قيل، بل إنْ سلّم عليها اقتصر الحديث معها بقوله: ((**كيف تيكم؟**))، ثم ينصرف ولا يسأل عن حالها.

ومن شدة البلاء برسول الله ﷺ انقطاع الوحي عنه شهراً كاملاً لا يوحى إليه؛ مما جعله يستشير علياً وأسامة رضي الله عنهما في فراق أهله.

قال ابن القيم – رحمه الله – (واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أنْ حُبِس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء، لتتم حكمته التي قدّرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه))(٣)، وهذا الانقطاع جعله يستشير ثم يصرح للناس بأنه تأذى من هذه الفرية، بقوله: ((**من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي**))، فسماه أذىً.

كذا ابتليت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أعظم البلاء في هذه الغزوة، بدأً بذهاب الجيش عنها، وبقائها في الصحراء لوحدها، واتهام أهل الإفك لها في شرفها وعفتها، ثم بمواقف النبي ﷺ معها، فلم يجلس في بيتها، ولم يكن يؤانسها على عادته ﷺ ، بل استشار في فراقها، ثم طلب الاستغفار منها إنْ فَعَلَتْ شيئاً، كل ذلك جعلها تبكي ليلاً ونهاراً حتى ظنت أن البكاء فالق كبدها.

جاء في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً(٤)، فقال رسول الله ﷺ: ((**أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**))، قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين فقال رسول الله ﷺ: ((**أجل**))، ثم قال رسول الله ﷺ: ((**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**)).(٥)

قال العيني – رحمه الله – : (وقد خص الله تعالى أنبياءه بشدة الأوجاع والأوصاب؛ لما خصهم به من قوة اليقين، وشدة الصبر والاحتساب؛ ليكمل لهم الثواب، ويعم لهم الخير).(٦)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في (أبواب الزهد . باب ما جاء في الصبر على البلاء) (٦٠١/٤)ح (٢٣٩٨)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٩/٣) برقم (٣٤٠٢).

(٣) زاد المعاد (٢٣١/٣).

(٤) قيل الحمى، وقيل ألمها. شرح النووي لصحيح مسلم (١٢٧/١٦).

(٥) رواه البخاري في (كتاب المرضى . باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل) (١١٥/٧) ح(٥٦٤٨)، ومسلم في (كتاب البر والصلة والآداب . باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها) (١٩٩١/٤) (ح(٢٥٧١).

(٦) عمدة القاري (٢٤٦/٣١).

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة.

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثاراً كثيرة تبين منزلة الابتلاء والنظرة الصحيحة تجاهه والحكمة منه ، من ذلك قول أبي هريرة :"إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه"[(١)]

وقال ابن عباس رضي الله عنه: " إن المؤمن يضرب وجهه بالبلاء كما يضرب وجه البعير "[(٢)] .

" فالصبر على البلاء وعدم الجزع أمرٌ مطلوب شرعاً، والأجر فيه بقدر الصبر والتسليم لله عز وجل، وذلك لأن الابتلاء تمحيص للمؤمن واختبار له"[(٣)]، فعلى المسلم أن يقوي يقينه بالله، ويعلم أنه مبتلى في هذه الدنيا، وأنه لا يسلم من البلاء أحد، فإن ذلك مما يخفف عليه مصابه، ويهون عليه مصيبته، وأن لا يتسخط أو يجزع؛ لأن ذلك محبطاً لأجله، قادحاً في يقينه وتوكله.والله أعلم

(١) أورده الهندي في كنز العمال برقم(٦٧٧١).

(٢) المصدر السابق برقم(٦٧٧٤).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية(١/٢٥٨).

المبحث الثاني:

ما جاء في قصة الإفك من إثبات الحلف بالله تعالى.

الشاهد من الحديث:

ورد في حديث الإفك الحلف بالله تعالى في كثير من ألفاظه، وذلك في قول النبي ﷺ، وأبي بكر، وزوجه، وابنته، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير ﭫ، نقتصر على أمثلة منها:

المثال الأول: تزكية النبي ﷺ لعائشة ﭫ بقوله: ((**فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً**)).

المثال الثاني: قول أم المؤمنين عائشة ﭫ وهي تحكي عن حالها لما جاءها صفوان بن المعطل ﭬ ورآها قالت: (ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه) .

المثال الثالث: قول أم رومان ﭫ لما جاءتها ابنتها عائشة ﭫ تسأل عن الخبر فأجابتها أمها بقولها: (هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها).

التعليق:

أولاً: الأدلة من السنة.

دلت هذه الأدلة أن الحلف بالله تعالى عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها إلا لله عز وجل، جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع عمر ﭬ وهو يحلف بأبيه، فقال: ((**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله**))،[١] وفي رواية: ((**من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله**))؛[٢] لأن صرف هذه العبادة لغيره شرك، قال النبي ﷺ: ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))؛[٣] لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والذي يجب أن يعظم ويحلف به هو الله عز وجل وحده دون من سواه.

ثانياً: الأدلة من أقوال سلف الأمة.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الأيمان والنذور . باب لا تحلفوا بآبائكم) (١٣٢/٨) ح(٦٦٤٦)، ومسلم في (كتاب الأيمان . باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى) (١٢٦٦/٣) ح (١٦٤٦).

(٢) رواه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار . باب أيام الجاهلية) (٤٢/٥) ح(٣٨٣٦)، ومسلم في (كتاب الأيمان . باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى) (١٢٦٧/٣) ح (١٦٤٦).

(٣) رواه أبو داود في (كتاب الأيمان والنذور . باب في كراهية الحلف بالآباء) (٢٢٣/٣) ح(٣٢٥١)، وابن حبان في (كتاب الأيمان . ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله جل وعلا) (١٩٩/١٠) ح(٤٣٥٨) وصححه الألباني في الترغيب والترهيب رقم (٢٩٥٢).

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثاراً كثيرة تبين منزلة الحلف بالله ﷻ وأهميته ، من ذلك قوله ابن عبدالبر - رحمه الله - : (لا يجوز الحلف بغير الله تعالى بالإجماع).[١]

وقال الشعبي - رحمه الله - : (الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق).[٢]

إلى غير ذلك من النصوص التي تقصر الحلف بالله وحده دون غيره، والله أعلم.

(١) التمهيد (٣٣٦/١٤).

(٢) المغني، لابن قدامة (٤١٩/٩).

المبحث الثالث:

ما جاء في قصة الإفك من إثبات كلام الله عز وجل.

الشاهد من الحديث:

قول أم المؤمنين عائشة ﵂ لما جاءها الفرج من الله ببراءتها: (ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى).

التعليق

فهذا الحديث من أم المؤمنين فيه التصريح بان الله يتكلم بأمره متى شاء كيف شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه[١] دل على ذلك القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة:

أولاً: من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،[٢] أي: (وخاطب الله بكلامه موسى خطاباً)،[٣] و (هذا تشريف لموسى ﵇ بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم)،[٤] و (العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام).[٥]

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾،[٦] (أي: قل لهم مخبراً عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ ﴾، أي: هذه الأبحر الموجودة في العالم ﴿ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾، أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار، أقلام، ﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾، وتكسرت الأقلام ﴿ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾، وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد...لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام الله،

(١) معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي (١/٢٥٥).
(٢) سورة النساء، الآية (١٦٤).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٤/٣٦٨).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/١٦٠).
(٥) معالم التنزيل، للبغوي (١/٧٢٣).
(٦) سورة الكهف، الآية: (١٠٩).

فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك).[١]

ثانياً: من السنة:

عن عدي بن حاتم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا حجاب يحجبه**))،[٢] فـ(السين للاستقبال من الزمان؛ لأن هذا التكليم لا يكون إلا يوم القيامة).[٣]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم**...))،[٤] (والمعنى: لا يكلّمهم الله يوم القيامة كلامَ تكريم وتنعيم، فهم يُحرمون من كلام الله عزّ وجلّ لهم يوم القيامة،... فهذا فيه: إثبات الكلام لله عزّ وجلّ، وأنّ الله يكلِّم عبادَه، ويتكلّم بما شاء من أمرِهِ سبحانه وتعالى. والكلام من صفاته سبحانه، وهو من صفات الأفعال التي يفعلُها إذا شاء سبحانه).[٥]

ثالثاً: أقوال سلف الأمة:

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثاراً كثيرة في إثبات صفة الكلام لله تعالى ، ومن ذلك : قول أبي بكر الخلال: (أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم؛ قال: قلت لأبي عبدالله: الله يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم؛ فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عز وجل؟! يكلم عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله متكلماً؛ يأمر بما يشاء، ويحكم بماء يشاء، وليس له عدل ولا مثل، كيف شاء وأين شاء).[٦]

قال ابن القيم – رحمه الله – :

والله ربي لم يـــــــزل متكلمـــــــــاً وكلامـــــــه المســـــــموع بالآذان

صـــــدقاً وعــــدلاً أحكمـــــت كلماتــــه طلبـــاً وإخبـــاراً بـــلا نقصـــان [٧]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٨٨/١).

(٢) رواه البخاري في (كتاب التوحيد . باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (١٤٨/٩) ح(٧٥١٢) ، ومسلم في (كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) (٧٠٣/٢) ح(١٠١٦).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله الغنيمان ٣٥٨/٢.

(٤) رواه البخاري في (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: **{وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}** (١٣٣/٩) ح(٧٤٤٦)، ومسلم في (كتاب الإيمان . باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (١٠٢/١) ح(١٠٦).

(٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان (٢٧٢/٢).

(٦) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد، للدكتور عبدالإله الأحمدي (٢٨٨/١).

(٧) نونية ابن القيم ضمن توضيح المقاصد وتصحيح القواعد (٢٦٢/١) .

المبحث الرابع:

ما جاء في قصة الإفك من إثبات العلم لله عز وجل.

الشاهد من الحديث:

قول أم المؤمنين عائشة ﵂ في الدفاع عن نفسها قالت: (فإن قلت لكم إني بريئة – والله يعلم أني بريئة –؛ لا تصدقوني بذلك! ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني بريئة –؛ لتصدقونني).

التعليق:

العلم من الصفات الذاتية لله تعالى؛ التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، وهي ثابتة لله تعالى بدلالة القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة:

أولاً: من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،[١] (فالله تعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم، أزلاً وأبداً، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٢])، [٣] وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾،[٤] (أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء).[٥]

ثانياً: من السنة:

ما جاء في حديث الاستخارة من التوسل بصفة العلم، فعن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام**

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣١).
(٢) سورة مريم، الآية (٦٤).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١١٦/٢).
(٤) سورة الأنعام، الآية (٧٣).
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٣٧/٤).

الغيوب))[١] (أي: أسألك وأتوسل إليك بصفتك، صفة العلم، أن ترشدني إلى الخير فيما أريد، فإنك عالم به لا يخفى عليك شيء.

وهذا صريح في إثبات صفة العلم لله -تعالى- ودعائه به، والأدلة عليه لا حصر لها).[٢]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**))، [٣] (هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها).[٤]

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة:

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثاراً كثيرة في إثبات صفة العلم لله تعالى ، ومن ذلك قول الأشعري في رسالة أهل الثغر: (وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً حياً قادراً عالماً ... وأجمعوا على إثبات حياة الله عز و جل لم يزل بها حياً، وعلماً لم يزل به عالما).[٥]

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : (وهو يعلم ما في السماوات السبع ، والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة).[٦]

قال الشيخ عبدالله الغنيمان – حفظه الله – : (والأدلة على وصف الله بالعلم كثيرة، ولا ينكرها إلا ضال أو معاند مكابر).[٧]

والله تعالى أعلم

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الدعوات . باب الدعاء عند الاستخارة) (٨١/٨) ح(٦٣٨٢).
(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان (١٧٤/١).
(٣) رواه البخاري في (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: **{إن الله عنده علم الساعة}** (١١٦/٩)ح(٧٣٧٩).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٥٢/٦).
(٥) (ص: ٢١٣).
(٦) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢٨٤/١).
(٧) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٠٣/١).

المبحث الخامس:

ما جاء في قصة الإفك من إثبات التسبيح لله عز وجل.

الشاهد من الحديث:

قول عائشة رضي الله عنها لما علمت بمقولة أهل الإفك، وأن الناس قد تحدثوا به: (قلت: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟!).

التعليق:

(منكرات الأقوال والأفعال مزعجات لأهل التقوى والإيمان؛ لأن فيها انتهاكاً للحرمات، ومخالفة للصراط المستقيم الذي يلزم الإنسان سلوكه في حياته).[١]

ولذا انزعجت أم المؤمنين رضي الله عنها لما علمت بمقالة أهل الإفك، فقالت: سبحان الله!، وهذه الكلمة تقال في مقام التبرُّؤ من نسبة ما لا يليق إلى أحد، وأصله التنزيه لله سبحانه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، وقد دل القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة على ذلك:

أولاً: من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾،[٢] (أي هذا كذب عظيم؛ لكونه قيل في أم المؤمنين رضي الله عنها، وصدوره مستحيل شرعاً من مثلها، ثم وعظ سبحانه الذي خاضوا في الإفك).[٣]

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ ،[٤] أي: (﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، أي: العابدين لغير الله، والمعبودين من دونه من الملائكة ﴿ ثُمَّ يَقُولُ ﴾ الله ﴿ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ على وجه التوبيخ لمن عبدهم ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾، فتبرأوا من عبادتهم.

---

(١) التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، د. محمد إسحاق كندو (٢٣/٢).
(٢) سورة النور، الآية (١٦).
(٣) فتح القدير، للشوكاني (٢١/٤).
(٤) سورة سبأ، الآيتان (٤٠ - ٤١).

و﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ أي: تنزيهاً لك وتقديسًا، أن يكون لك شريك أو ند ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ فنحن مفتقرون إلى ولايتك، مضطرون إليها، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء وشركاء؟).[١]

ثانياً: من السنة:

حديث عمران بن حصين في قصة الأنصارية التي أُسِرت ثم نجاها الله؛ بناقة النبي ﷺ فنذرت أن تنحرها، فلما علم النبي ﷺ قال: ((**سبحان الله! بئسما جزتها، نذَرَتْ لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها! لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد**))، [٢] (فقوله: ((**سبحان الله**)) دليل على التسبيح عند التعجب من المنكر).[٣]

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين اشتد به المرض، فقال له رسول الله ﷺ : ((**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه ؟**))، قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: ((**سبحان الله! لا تطيقه، أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**))، قال: فدعا الله له فشفاه.[٤] قال النووي – رحمه الله – : (وفيه جواز التعجب بقول: (**سبحان الله**))[٥]

وهذا تسبيح من النبي ﷺ تعجُّبٌ من المنكر؛ لأن دعاءه على نفسه باستعجال العقوبة في الدنيا منكر.[٦]

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة:

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثاراً كثيرة تبين منزلة التسبيح والتنزيه لله تعالى ومن ذلك: قول قيس بن عباد: (كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر، فمر عبد الله بن سلام، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فقمت فقلت له: إنهم قالوا كذا وكذا، قال: سبحان الله! ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم، إنما رأيت كأن عموداً وضع في روضة خضراء فنصب فيها، وفي رأسها عروة، وفي أسفلها مِنْصَف – والمنصف الوصيف[٧] – فقيل لي: ارقه، فرقيت حتى أخذت بالعروة، فقصصتها على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ((**يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى**)).[٨]

قال النووي –رحمه الله– : "هذا إنكار من عبد الله بن سلام ﷺ حيث قطعوا له بالجنة، فيحمل على أن هؤلاء

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٦٨١).
(٢) رواه مسلم في (كتاب النذر . باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد) (١٢٦٢/٣) ح (١٦٤١).
(٣) التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه (٢٧/٢)، بتصرف.
(٤) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا) (٢٠٦٨/٤) ح (٢٦٦٨).
(٥) شرح صحيح مسلم (١٣/١٧).
(٦) التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه (٢٨/٢).
(٧) الخادم الصغير المدرك للخدمة غلاماً كان أو جارية. شرح صحيح مسلم (٤٢/١٦).
(٨) رواه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار . باب مناقب عبد الله بن سلام ﷺ) (٣٧/٥) ح(٣٨١٣)، ومسلم في (كتاب كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم . باب من فضائل عبد الله بن سلام ﷺ) (١٩٣٠/٤) ح(٢٤٨٤).

بلغهم خبر سعد بن أبي وقاص بأن ابن سلام من أهل الجنة، ولم يسمع هو، ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعاً، وإيثاراً للخمول، وكراهة للشهرة" [١] .

والله تعالى أعلم

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/٤٢).

المبحث السادس:

بيان ما جاء في قصة الإفك من بشرية النبي ﷺ.

الشاهد من الحديث:

من نظر في حديث الإفك نظر متفحص ومتأمل؛ عَلِم بأن النبي ﷺ بشر يتأثر ويتألم، وأنه لا يعلم الغيب، إلا أنه فُضّل على البشر بالرسالة، واتضحت بشريته وأنه لا يعلم الغيب من المواقف التالية:

١) عدم علمه بأن عائشة رضي الله عنها قد فقدت العقد ليلة الرحيل.

٢) عدم علمه بأن عائشة رضي الله عنها لم تكن في الهودج أثناء الرحيل.

٣) مواقفه مع عائشة رضي الله عنها بعد إشاعة الإفك.

٤) استشارة عليّ وأسامة رضي الله عنهما في فراق أهله.

٥) سؤاله لبريرة رضي الله عنها عن حال عائشة رضي الله عنها.

٦) استعذاره من عبدالله بن أبي وانه آذاه.

٧) قوله لعائشة رضي الله عنها ((**إنه بلغني عنك كذا وكذا**)).

٨) ضحكه ﷺ لما سُرّي عنه الوحي.

٩) قوله لزوجه ((**أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك**)).

١٠) سؤاله لزينب بنت جحش رضي الله عنها عن حال عائشة رضي الله عنها.

التعليق:

هذه الموقف من النبي ﷺ في حادثة الإفك بينت أنه بشر كالبشر، يتأثر ويهتم ويسأل ويضحك ويستبشر ولا يعلم الغيب، وهذا مبينٌ بدلالة القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة.

أولاً: من القرآن:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾،(١) فهو واحد منهم في البشرية، ومساوٍ لهم فيما ليس من الأمور الدينية،

---

(١) سورة الكهف، الآية (١١٠).

التي اختص بها[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾،[٢] (يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره).[٣]

ثانياً: من السنة:

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه**))،[٤] (يعني: كواحد منكم، ولا أعلم الغيب وبواطن الأمور، كما هو مقتضى الحالة البشرية، وأنا أحكم بالظاهر).[٥]

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما صلى بهم خمساً، فقال له أصحابه رضي الله عنهم: يا رسول الله، هل زيد في الصلاة؟ قال: ((**لا**))، قالوا: فإنك قد صليت خمساً، فسجد سجدتين ثم سلم، ثم قال ﷺ: ((**إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون**)).[٦]

تبين مما سبق أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، إنما هو بشر كالبشر، يجوع ويمرض وينسى ويتعب إلا إنه فضل على سائر الخلق بالرسالة.

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة:

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثاراً كثيرة تبين أن الرسول ﷺ بشر كالبشر، ليس له من علم الغيب شيء، إلا ما أطلعه الله عز وجل، من ذلك ما جاء في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾،[٧] ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله).[٨]

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (١٧٠/٦) بتصرف يسير.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٥٥٣/١٧).

(٤) رواه البخاري في (كتاب الأحكام ـ باب موعظة الإمام للخصوم) (٦٩/٩) ح (٧١٦٨).

(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للعيني (٤٨٢/٣٤).

(٦) رواه البخاري في (كتاب الصلاة ـ باب التوجه نحو القبلة حيث كان) (٨٩/١) ح (٤٠١)، ومسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب السهو في الصلاة والسجود له) (٤٠٠/١) ح(٥٧٢).

(٧) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

(٨) رواه البخاري في (كتاب التوحيد ـ **باب قول الله تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا}**) (١١٦/٩) ح (٧٣٨٠).

وجاء أيضاً من حديث عتبة بن غزوان ﵁ وفيه: (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة[(١)] حتى تقرحت[(٢)] أشداقنا).[(٣)]

(١) ثمر السَّمر. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٣٤).

(٢) قرحت أي: تجرحت. المصدر السابق (٤/٣٦).

(٣) رواه مسلم في (كتاب الزهد والرقائق) (٤/٢٢٧٩) ح(٢٩٦٧).

المبحث السابع:

بيان ما جاء في حكم الطعن في عرض النبي ﷺ

الشاهد من الحديث:

ورد في قول النبي ﷺ لما خطب على المنبر: ((**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي؟؛ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً**)).

التعليق:

الواجب تجاه النبي ﷺ توقيره وتعظيمه ومحبته واتباعه؛ لأن الطعن فيه وأذيته من نواقض الإيمان التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً سواء استحل ذلك أو لم يستحله، وقد دل على هذا القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة.

أولاً: من القرآن

قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في بيان وجه الشاهد من هذه الآية على كفر من سب النبي ﷺ:

(فعلم أن إيذاء رسول الله محادة لله ولرسوله ، لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة ، ... فدل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر ، لأنه أخبر أن له نار جهنم خالداً فيها، ولم يقل: هي جزاؤه ، وبين الكلامين فرق). [٢]

وقال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾،[٣] (وهذا نصٌ في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى، وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر).[٤]

---

(١) سورة التوبة، الآية (٦١).
(٢) الصارم المسلول (٢/٥٨).
(٣) سورة التوبة، الآيتان (٦٥ – ٦٦).
(٤) الصارم المسلول (٢/٧٠).

ثانياً: من السنة :

وقد دلت السنة على كفر وقتل من سب النبي ﷺ كما في حديث الرجل الأعمى الذي قتل زوجته لما طعنت وآذت بقولها النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: (**ألا اشهدوا أن دمها هدر**).[١]

قال الخطابي – رحمه الله –:

(وفيه بيان أن ساب النبي ﷺ مهدر الدم ، وذلك أن السب منها لرسول الله ﷺ ارتداد عن الدين ، ولا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله).[٢]

وعن أبي بَرْزَة رضي الله عنه قال : (كنت عند أبي بكر رضي الله عنه فتغيظ على رجل، فاشتد عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله ﷺ أن أضرب عنقه ؟ قال : فذهبت كلمتي غضبه ، فقام فدخل، فأرسل إلي فقال : ما الذي قلت آنفاً ؟ قلت : إئذن لي أضرب عنقه ، قال : أكنت فاعلاً لو أمرتك ؟ قلت : نعم ؟ قال : لا والله ما كانت لبشر بعد مُحَمَّد ﷺ).[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في بيان وجه الدلالة من الحديث :

(وقد استدل به على جواز قتل ساب النبي ﷺ جماعات من العلماء – ثم ذكر أسماءهم ...وهذا الحديث يفيد أن سبه في الجملة يبيح القتل ، ويستدل بعمومه على قتل الكافر والمسلم).[٤]

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله أن الطعن في عرض النبي ﷺ كفر وزندقة من ذلك قول مُحَمَّد بن سحنون– رحمه الله – : (أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله ؛ وحكمه عند الأمة القتل ؛ ومن شك في كفره وعذابه كفر).[٥]

وقال إسحاق بن راهويه – رحمه الله – : (أجمع العلماء أن من سب الله عز وجل، أو سب رسول الله ﷺ، أو دفع شيئاً أنزله الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر).[٦]

لذا كانت أعظم أذية للنبي ﷺ أن يُتهم في عرضه، ويُنال منه؛ إذ الطعن في أهله طعن فيه ﷺ ، قال القاضي أبو

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى في (كتاب المحاربة . الحكم فيمن سب النبي ﷺ) (٣/٤٤٥) ح(٣٥١٩)، وأبو داود في (كتاب الحدود . باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ) (٤/١٢٩) ح(٤٣٦١) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح(٤٣٦١).

(٢) معالم السنن ضمن سنن أبي دواد (٤/٥٢٨).

(٣) رواه أبو داود في (كتاب الحدود . باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ) (٤/١٢٩) ح (٤٣٦٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح(٤٣٦٣).

(٤) الصارم المسلول (٢/١٩٣).

(٥) الشفا (٢/٩٣٤).

(٦) التمهيد (٢/٣٦٩).

يعلى الحنبلي –رحمه الله–: (من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم).(١)

وقال النووي – رحمه الله – : (براءة عائشة رضى الله عنها من الإفك، وهى براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم).(٢)

بهذا كله يتبين أن قذف عائشة ﵂ كفراً وزندقة، ويقتل فاعله ردة لأنه طعن وأذية في النبي ﷺ .

والله أعلم

---

(١) الصارم المسلول (٢/١٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (١١٧/١٧).

المبحث الثامن:

بيان ما جاء في قصة الإفك من محبة النبي ﷺ وتعظيمه.

الشاهد من الحديث:

ورد ذلك في عدة مواقف من أصحاب النبي ﷺ وأنهم تأثروا ودافعوا عن النبي ﷺ وعن أهله من ذلك:

موقف أسامة بن زيد ﷺ لما استشاره النبي ﷺ في فراق أهله: (فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً).

موقف أم مسطح من ابنها الذي تكلم في الإفك: (فعثرت أم مسطح في مرطها؛ فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟! قالت: أي هنتاه؛ أو لم تسمعي ما قال؟! قلت: وماذا قال؟! قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك!)

موقف سعد بن معاذ الأنصاري من الطاعن في النبي ﷺ (فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه – يا رسول الله – إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك!)

التعليق:

محبة النبي ﷺ وتوقيره من أعظم أصول الإيمان التي لا يكون المؤمن مؤمناً إلا بها، وقد دل على هذا القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة.

أولاً: من القرآن

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. (١)

قال القاضي عياض:

(فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاق لها ﷺ، إذ قرع سبحانه من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: "فتربصوا حتى يأتي الله بأمره" ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضلّ ولم يهده الله) (٢) وقال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) سورة التوبة، الآية (٢٤).

(٢)الشفا (٥٦٣/٢).

﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[١] فذكر – تعالى – : حقاً مشتركاً بينه وبين رسوله ﷺ وهو الإيمان ، وحقاً خاصاً به –تعالى – وهو التسبيح ، وحقاً خاصاً بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير[٢].

ثانياً: من السنة :

قال النبي ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**)).[٣]

قال الحليمي – رحمه الله – :

(تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره منزلة فوق المحبة لأنه ليس كل محب معظماً ، ألا ترى أن الوالد يحب ولده فيجمع له بين التكريم والتعظيم ، والسيد قد يحب مماليكه ولكن لا يعظمهم ، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم ، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة ، فإذا كان هذا هكذا ، فما بين العبد وسيده ، والوالد وولده ، فمعلوم أن حق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وألزم لنا وأوجب علينا ، من حقوق السادات على مماليكهم والإماء على أولادهم).[٤]

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**))،[٥] فلا يمكن لعبد أن يجد حلاوة الإيمان ما لم يحقق هذه الدرجة العالية من محبته ﷺ .

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة

ورد عن السلف الصالح من التعظيم والتوقير والمحبة للنبي ﷺ الشيء الكثير في كتبهم من ذلك قول ابن عبد البر – رحمه الله – : (وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه ونصروه وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم، حتى أدخلوهم في الإسلام).[٦]

وحال أصحاب النبي ﷺ في التعظيم والتوقير والإجلال له كحال عمرو بن العاص ﷺ عندما قال : (وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه

---

(١) سورة الفتح، الآية (٩).
(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبد اللطيف الحسن ضمن حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال (ص: ٦٨).
(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان . باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان) (١/١٢) ح(١٥)، ومسلم في (كتاب الإيمان . باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة) (١/٦٧) ح(٤٤) .
(٤) المنهاج في شعب الإيمان (٢/١٢٤) بتصرف.
(٥) البخاري في (كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان) (١/١٢)ح(١٦) ومسلم في (كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) (١/٦٧)ح(٤٣).
(٦) التمهيد (٨/٣٢٣).

ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه).[1]

وسئل علي بن أبي طالب ﷺ : كيف كان حبكم لرسول ﷺ ؟ قال: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ).[2]

والله تعالى أعلم

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان ـ باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج) (١١٢/١) ح(١٢١).
(٢) الشفاء (٥٦٧/٢).

المبحث التاسع:

بيان ما جاء في قصة الإفك من فضل الصحابة ﷺ .

الشاهد من الحديث:

ورد فضل الصحابة ﷺ في حديث الإفك في كذا موقف، منها :

أولاً: ما جاء في فضل صفوان بن المعطل ﷺ، فقد جاء فضله في مواقف متعددة منها:

موقفه مع أم المؤمنين عائشة ﷺ وذلك بحفظها والاعتناء بها وعدم التحدث معها وإناخته للبعير لها وتألمه من رؤيته لها في الخلاء لوحدها وما هذا الفعل منه إلا لخوفه من الله عز وجل ولمعرفته مكانة زوج سيد المرسلين ﷺ .

وبهذا استحق ﷺ تزكية النبي ﷺ له عندما صعد المنبر بقوله: ((**ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً**)).

ثانياً: موقف أسامة بن زيد رضي الله عنهما من قول أهل الإفك يدل على فضله وإحسانه الظن بأم المؤمنين ﷺ عندما قال:" يا رسول الله هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً".

ثالثاً: موقف سعد بن معاذ الأنصاري ﷺ عندما قال: "أنا أعذرك منه – يا رسول الله – إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك".

التعليق:

(إن فضائل وشمائل الصحابة ﷺ في الكتاب والسنة، وكلام السلف، أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر؛ فهذه المكتبة الإسلامية مليئة بكتب فضائلهم وشمائلهم ومناقبهم وسيرهم، وهذا لا يخفى على أحد من المسلمين ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة).[١] والأدلة على هذا كما يلي:

أولاً: من القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾،[٢] (فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم).[٣]

---

(١) تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة، ذياب بن سعد الغامدي (ص: ٩١).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٠٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/٣٩٨).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[١].

(يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تَابَ عَلَى النبي مُحَمَّد ﷺ والمهاجرين والأنصار فغفر لهم الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات). [٢]

ثانياً: من السنة.

جاء في الصحيح قول النبي ﷺ عن القرن الذي هو فيه: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**).[٣]

(وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون لأنهم آمنوا حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبه الناس ، وعزروه ونصروه وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم ، وقاتلوا غيرهم على كفرهم ، حتى أدخلوهم في الإسلام).[٤]

وأثنى رسول الله ﷺ عليهم (وشبههم بالنجوم ، ونبه بذلك أمته على الاقتداء بهم في أمور دينهم ، كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر في مصالحهم)،[٥] فقال: ((**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**))[٦].

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة

ورد عن السلف الصالح ما يبين منزلة أصحاب النبي ﷺ من ذلك قول الإمام أحمد – رحمه الله– :

(ومن السنة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة).[٧]

وقال ابن أبي زمنين – رحمه الله – :

(ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم).[٨]

والله أعلم

---

(١) سورة التوبة، الآية (١١٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٣٥٤).

(٣) رواه البخاري في (كتاب أصحاب النبي ﷺ ـ باب فضائل أصحاب النبي ﷺ) (٣/٥) ح(٣٦٥١) ، ومسلم في (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (١٩٦٣/٤) ح(٢٥٣٣) .

(٤) التمهيد (٣٢٣/٨).

(٥) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٤٣٧).

(٦) رواه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة) (١٩٦١/٤) ح (٢٥٣١).

(٧) انظر: طبقات الحنابلة، لأبي يعلى (٣٠/١)، الشرح والإبانة، لابن بطة (ص: ٢٩٤).

(٨) أصول السنة (ص: ٢٦٣).

المبحث العاشر:

ما جاء في قصة الإفك من فضل عائشة ﵂.

الشاهد من الحديث.

ورد فضل أم المؤمنين ﵂ في حادثة الإفك في عدة مواقف، منها:

الموقف الأول: تزكية النبي ﷺ لها بقوله: ((**فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً**)).

الموقف الثاني: عفتها، وحفظها لنفسها، وسرعة تخمير وجهها، وعدم التحدث بكلمة مع صفوان بن المعطل ﵁ ، وما ذلك إلا لخوفها من الله وحفظها لزوجها في السر والعلن.

الموقف الثالث: غيرة الله لأوليائه وأحبائه بتبرئتهم والثناء عليهم من فوق سبع سموات، جاء ذلك في قوله ﷺ : ((**أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك**)).

التعليق:

أم المؤمنين عائشة ﵂ الصديقة بنت الصديق من أكمل النساء ديناً وعلماً وخلقاً وأدباً، وكان لها المنزلة العالية عند رسول الله ﷺ ، وفضائلها في نصوص الوحيين لا تعد ولا تحصى، من ذلك :

أولاً: من القرآن:

قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾،[1] (أي: ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له، لا شرعاً ولا قدراً؛ ولهذا قال: ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي: هم بُعَداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان، ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ أي: بسبب ما قيل فيهم من الكذب، ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة النبيّ ﷺ في الجنة).[2]

وقال تعالى:﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾،[3] (وفي هذا بيان فضل عائشة ﵂ حيث نزهها باللفظ الذي نزه به نفسه، وهو لفظ سبحان الله، ويقال: سبحان الله أن تكون امرأة النبي ﷺ زانية، ما كانت امرأة نبي زانية قط).[4]

---

(١) سورة النور، الآية (٢٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٤/٦).

(٣) سورة النور، الآية (١٦).

(٤) بحر العلوم، للسمرقندي (٥٠٣/٢).

ثانياً: من السنة.

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**).(١)

قال النووي –رحمه الله– : (قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد مالا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة: نفعه، والشبع منه، وسهولة مساغه، والالتذاذ به، وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله، ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة، وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة).(٢)

وعن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ **قال: عائشة،** قلت: من الرجال؟ **قال: أبوها**، قلت: ثم من؟ **قال: عمر**، فعدّ رجالاً).(٣)

قال النووي –رحمه الله– : (هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة ﷺ، وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر، ثم عمر على جميع الصحابة).(٤)

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة.

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله آثارا كثيرة تبين منزلة أم المؤمنين عائشة ﷺ ، من ذلك قول أبي موسى الأشعري ﷺ قال: ما أشكل علينا أصحاب مُحَمَّد ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً).(٥)

وعن مصعب بن سعد، قال: فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ).(٦)

وهذا يدل على عظيم مكانتها عند رسول الله ﷺ ، وعند أصحابه من بعده ، فعرفوا لها قدرها، ومكانتها العالية، وأدل دليل على علمها وفضلها كثرة الأحاديث المروية عنها ﷺ، فقلّ أن تجد كتاباً في الحديث أو غيرها من كتب أهل العلم إلا ولها فيه ذكر وخبر .

والله أعلم

(١) رواه البخاري في (كتاب أصحاب النبي ﷺ . باب فضل عائشة ﷺ) (٥/٢٩) ح(٣٧٦٩)، ومسلم في (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها) (٤/١٨٨٦) ح(٢٤٣١) .

(٢) شرح صحيح مسلم١٥/١٩٩.

(٣) رواه البخاري في(كتاب المغازي . باب غزوة ذات السلاسل) (٥/١٦٦) ح(٤٣٥٨)، ومسلم في (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ) (٤/١٨٥٦) ح(٢٣٨٤)

(٤) شرح صحيح مسلم(١٥/١٥٣).

(٥) رواه الترمذي في (أبواب المناقب . باب من فضل عائشة ﷺ) (٥/٧٠٥) ح(٣٠٤٤)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب) وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح (٣٠٤٤).

(٦) كنز العمال للهندي (١٣/٦٩٤).

المبحث الحادي عشر:

ما جاء في قصة الإفك من حُكم مرتكب الكبيرة.

الشاهد من الحديث:

اتهام عائشة ﵂ بالإفك، وإشاعة ذلك والتحدث به يُعدُّ من قذف المحصنات الغافلات، وقد وقع هذا من قِبل بعض الصحابة ﵃ ، أمثال: حسان ومسطح وحمنة بنت جحش﵃، ولذا طهرهم رسول الله ﷺ بإقامة الحد عليهم، فدل هذا على أن فعلهم كبيرة من الكبائر، أما اتهامها بعد نزول براءتها من فوق سبع سماوات فهو كفر بإجماع المسلمين لأنه تكذيب لله واتهاماً وطعناً لعرض رسول ﷺ .

التعليق:

دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة ﵃ والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر فـ(الكبائر كل ذنْبٍ ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب)،[1] وقد ورد في الآيات التي نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة ﵂ الغضب واللعنة والعذاب الأليم؛ مما يدل على أن الذين وقعوا في عرضها قد ارتكبوا كبيرة من كبائر الذنوب، أما أدلة القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة على أن قذف المؤمنات كبيرة من كبائر الذنوب ما يلي:

أولاً: من القرآن

(لما أنزل الله براءةَ أم المؤمنين عائشة ﵂، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على مَن أقيم عليه ... قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.[2]

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات -خُرّج مخرج الغالب -المؤمنات.

فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق، رضي الله عنهما.

وقد أجمع العلماء، رحمهم الله، قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا، ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن).[3]

قال السعدي – رحمه الله – (ثم ذكر الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: العفائف عن الفجور ﴿ الْغَافِلاتِ ﴾ التي لم يخطر ذلك بقلوبهن ﴿ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير.

---

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٦٥٠).

(٢) سورة النور، الآية (٢٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٣١).

وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته).[١]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾.[٢]

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله –: (يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله، ويظهر ذلك فيهم،(لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحدّ الذي جعله الله حدًّا لرامي المحصَناتِ والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرّا على ذلك غير تائب).[٣]

ثانياً: من السنة.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**اجتنبوا السبع الموبقات**))، قيل: يا رسول الله، وما هن ؟ ((**قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**)).[٤]

قال ابن بطال – رحمه الله –: (وجاءت الأخبار عن النبي ﷺ بالتغليظ في رمي المحصنات، وأن ذلك من الكبائر).[٥]

ثالثاً: من أقوال سلف الأمة.

ورد عن السلف الصالح رحمهم الله أن الذنوب منها كبائر وصغائر، من ذلك قول عمر ﷺ : (الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والسحر، وأكل مال اليتيم بغير حق، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وبكاء الوالدين المسلمين من العقوق، وأكل الربا، واستحلال آمّين البيت الحرام، والفرار من الزحف).[٦]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : (أبشروا، أبشروا، أبشروا، من صلى الصلوات الخمس، واجتنب الكبائر السبع، دخل من أي أبواب الجنة شاء، عقوق الوالدين، والشرك بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف وأكل الربا).[٧]

وبهذا الذي مر إيراده يظهر لطالب الحق: (بأن كل صاحب كبيرة ففي مشيئته الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه مالم تكن كبيرته شركاً بالله).[٨]

والله أعلم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٥٦٣).
(٢) سورة النور، الآية (١٩).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٨٧/٩).
(٤) رواه البخاري في (كتاب الحدود ـ باب رمي المحصنات) (١٧٥/٨) ح(٦٨٥٧)، ومسلم في (كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها) (٩٢/١) ح(٨٩).
(٥) شرح صحيح البخاري (٤٨٩/٨).
(٦)كنز العمال، رقم (٨٨٨٤).
(٧) المصدر السابق، رقم (٧٨١٧).
(٨) جامع البيان في تأويل القرآن (٤٥٩/٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الرسل والأنبياء نبينا مُحَمَّد ﷺ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

تبين لي من خلال الدراسة لحديث الإفك الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه ما يلي:

١. منبع العقيدة الصافي من الكتاب والسنة لا من عقول البشر؛ لأنها توقيفية.
٢. إثبات صفتي الكلام والعلم لله تعالى، إثباتاً يليق بجلاله، من غير تحريف، أو تعطيل، أو تأويل، أو تمثيل.
٣. الأنبياء عليهم السلام بَشَرٌ كالبشر لا يعلمون الغيب، إلا ما أطلعهم عليه الله عز وجل.
٤. وجوب محبة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه واحترامه؛ لأن ذلك من أصول الإيمان.
٥. فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأن الطعن فيها كفر وزندقة؛ لأنه طعن في الكتاب والسنة.
٦. فضل الصحابة رضي الله عنهم على غيرهم من البشر، وأن بعضهم قد يقع في الكبيرة لكن سرعان ما يتوب وينيب إلى الله تعالى.
٧. وأخيراً أوصي أن تُعَدَّ ندوة مستقلة حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لا سيما بعد الهجمة الشرسة ضدها من بعض الموتورين، بحيث تتناول هذه الندوة ما يلي:
   - التعريف بها: (مولدها، نسبها، وفاتها).
   - فضلها في الكتاب والسنة.
   - حياتها مع النبي ﷺ.
   - روايتها للسنة.
   - جهادها مع النبي ﷺ .
   - حكم الطعن فيها.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات :